



أديب الفقهاء وفقيه الأدباء!

عنها ما قرأه وما شاهده وما مارسه، ولهذا لا يبيع أحد من جلسائه لنفسه أن يتحدث بحضرته، فالجميع أذان صاغية وعيون معدقة، ومع سخائه في إمتاع المجالس بشهي القول فإنه كريم حين تزوره في «أحديته» التي كان لي شرف الإسهام في بعض مناشطها، وبيته كان مثابة للزوار من الأصدقاء والعلماء والطلاب وعشاق الكلمة الطيبة.

لقد كان وفياً لحكومته حين نهض بكثير من مهماتها، ووفياً لها بعد أن أقعدته الشيخوخة ينشر فضائل قادتها، ويروي تاريخ رجالاتها، سليم العقيدة، نظيف السريرة، يلقي مريديه بالهشاشة والبشاشة واللطافة والتواضع، ينطوي على ثقافة واسعة، ويشارك في قضايا متعددة، ويغلب على أحاديثه الإمتاع، فهو لا يثقل على سامعيه، ولا يضايق مستمعيه، متفائل ينظر إلى الوجه المشرق من الحياة، جاد لا يزجي الوقت بفائض القول، وحافظة تتداعى عنده الآيات والأحاديث والأبيات والحكم والأمثال، فهو بحق موسوعة ثقافية تمشي بالأسواق.

كرمه الدولة، وقلده ملك

كان أحمد المبارك واحداً من أفاضل مَنْ عرفت، ولم يكن الحرف وحده المؤاخي بيني وبينه، كما لم يكن بُعد المزار حائلاً دون افتعال المناسبات للظفر بأكبر قدر من الوقت معه، سمعت به وكان ملء السمع والبصر، وحين لقيته لم أقل: «أهذا المغيرى الذي كان يذكر» بل طابق الخبر الخبر.. وكل من لاقيت بيدي إعجابه وإكباره: وفي كل مؤتمر أو تجمع نخبوي تراه واسطة العقد، يتحلق الكبار والصغار من حوله لينهلوا من معينه الصافي والمتدفق، ذاكرة قوية حافظة، يتدفق علماً ومعرفة وسيرة تاريخية، إن تحدث عن لداته ومجاليه نفعك بسير عطرة، وأخبار جلية، وإن تحدث عن نفسه قديم لك أطرافاً من التاريخ المحلي الحديث بوصفه واحداً من بُناته، وإن روى لك

طرائف التاريخ وعلم الرجال أغدق على سامعيه سير الأبطال وبناء الحضارة، عاصر الملك عبد العزيز ورافق أبنائه من بعده، وسجلت ذاكرته القوية أطرافاً من سيرهم العطرة، ودعك من حفظه للملقات والمقامات ومقتطفات الغزل العفيف واللطائف والنوادر، إنه يتوفر على ذاكرة قوية لا يند



د. حسن الهويل - السعودية

أحد الرموز الأدبية



أ. عبدالله بن إدريس - السعودية

أعتبر بحق أن الشيخ أحمد بن علي المبارك هو أحد الرموز الأدبية.. ليس في الأحساء فحسب.. بل على مستوى المملكة العربية السعودية. وهو في زمننا الحاضر أحد أكبر وأشهر أدباء الأحساء بالمنطقة الشرقية.. سناً وعلماً وأدباً وخلقاً.. كما أنه الروائي الشمولي الأول لأدب هذه المنطقة وأدبائها.. شعراً ونثراً وتاريخاً ورواية. وهو عندما يتحدث عن الأدب والشعر والتاريخ في هذه المنطقة من المملكة بأسرّك بحلاوة حديثه، وقوة لفته، وبحافظته العجيبة التي يبدو لي أنه لا يوجد في وقتنا الحاضر من يماثله في قوة هذه الحافظة واستحلابها ساعات وساعات.. دون أن تمل هذا الحديث أو تستقله بل تود منه الاستمرار فيما يعطيك من حديث العلم والشعر والأدب والتاريخ. ولقد استضافناه في النادي الأدبي بالرياض.. منذ سنوات في محاضرة عن الشعر خصوصاً والأدب عموماً في الأحساء وما جاورها.. وألقى محاضرتة تلك ارتجالاً.. وكأنها مكتوبة حيث الذاكرة الواعية*.

* صحيفة الجزيرة السعودية، العدد ١٢٧٢٢.

الإنسانية وسام المؤسس من الدرجة الأولى، وكنت ممن شرف بترشيحه في مجموعة المشورة التي يعقدها مهرجان الوطني للتراث والثقافة، ويفتتح جلساتها معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري رحمه الله، وحين طرح اسمه أجمع الكل على أهليته وأحقّيته، وذكراته في سفارته وأسفاره وابتعائه حين يرويهما تتمنى لو وقفت دورة الفلك ليقيف الزمان ويمضي في روايته.

لقد قرأت عن القصاص والمذكرين وأصحاب المقامات فوجدته حين يتحدث خير شاهد على براعتهم وإمتاعهم. وسيرته التي كتبها والحلقات الممتعة التي أغراه بكتابتها في (المجلة العربية) زميلنا وصديقنا الأستاذ حمد القاضي من أمتع السير الذاتية، وكم نحن بحاجة إلى مزيد من السير الذاتية يكتبها العلماء والأدباء ورجال الدولة أمثال معالي الدكتور عبد العزيز الخويطر وأبي عبد الرحمن بن عقيل وأضرابهم، ففي جعب هؤلاء ما يمتع الفؤاد ويفيد الناشئة.

رحم الله أديب الفقهاء وفقهه الأدباء العالم العلامة الشيخ أحمد بن علي المبارك (١٣٢٧-١٤٣١هـ) الذي جعل من «أحدثه» رابطة أدبية يدعو إليها الأدباء والعلماء وكبار الشخصيات، وبوفاته تكون أحدثه قد تجاوزت العقدين من عمرها المديد، فالأمل بأنجاله وأسرتة أن يتعهدوها وأن تظل رافداً أدبياً وعلمياً كما ظلت «خميسية» علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله.

لقد ظل وفيّاً للعلم والأدب طول حياته، وأجزم أنه سيظل كذلك بعد وفاته، وليس غريباً أن يكون الفقيد بهذا المستوى المشرف، وأن يصل أنجاله وأحفاده ما انقطع، فالأسرة كلها أسرة علم وكرم واحتراف بجلائل الأعمال، ولقد أشرت في رسالتي للدكتوراه إلى الأسر العلمية في مناطق المملكة وأثرها المتميز في فترة التكوين وفترة البناء وفترة الانطلاق*.

* صحيفة الجزيرة السعودية، العدد ١٢٧٢٧.